اوصاف المؤمنين من الكفار والمنافقين في اول سورة البقرة • فذكر
في اوصاف المؤمنين ثلاث ايات وفي اوصاف الكفار اثنين • وفي
اوصاف هؤلاء بضع عشرة اية لعموم الابتلاء بهم • وشدة المصيبة
بمخالطتهم فانهم من الجملة مظهرون للموافقة والمناصرة بخلاف الكافر
الذي نابذ بالعداوة واظهر الشريعة ودعاك بما اظهره الى منا
بذته ومفارقته فصل ونظير هذين المثلين المثلان المذكوران
في سورة الرعد في قوله تعالى انزل من السماء ماء فسالت اودية
بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا فهذا المثل هو المثل المماثل شبه
سبحانه الوحي الذي انزله لحيوة القلوب بالماء الذي نزله من السماء
وشبه القلوب الحاملة بالاودية الحاملة للسيل • فقلب كبير يسع
علما كثيرا كوادٍ كبير يسع ماءً كثيرا • وقلب صغير كوادٍ صغير
يسع علما قليلاً • فحملت القلوب من هذا العلم بقدرها كما سالت الاودية
بقدرها ولما كانت الاودية ومجاري السيول فيها الغثاء ونحوه
مما يمر عليه السيل فيحمله فيطفو على وجه الماء زبدا عاليا عليه
متراكبا ولكن تحت الماء الفرات الذي به حيوة الارض فيقذف الوادي
ذلك الغثاء خبيثه حتى لا يبقى منه شيئ • ويبقى الماء الذي تحت الغثاء
يسقي الله به الارض فتحيى به العباد والشجر والدواب والغثاء يذهب
جفاء يجف ويطرح على شفير الوادي • فكذلك العلم والايمان الذي
انزله من السماء في القلوب فاحتمله فاثار منها بسبب مخالطته لها
ما فيها من غثاء الشهوات • وزبد الشبهات الباطلة • وطفى في اعلاها
واستقر العلم والايمان في جذر القلب وهو اصله وقراره • كما قال
صلى الله عليه وسلم نزل الايمان في جذر قلوب الرجال رواه البخاري
من حديث حذيفة • فلا يزال ذلك الغثاء والزبد يذهب جفاء ويزول
شيئا فشيئا حتى يزول كله ويبقى العلم النافع والايمان الخالص في جذر
القلب يردّه الناس فيشربون ويسقون ويزرعون وفي الصحيح

لا يعلم ان ذلك من لوازم الصيب الذي به حيوة الارض والنبات وحيوته
هو في نفسه لا تدرك الابرعد وبرق وظلمة ولا شعور له ما وراء ذلك
فالوحشة لازمة له والرعب والفزع لا ينفارقه • واما من انس بالصيب
وعلم ما يحصل به من الخيرات والحياة والنفع وعلم انه لابد فيه من رعد
وبرق وظلمة بسبب الغيم استانس بذلك ولم يستوحش منه ولم يقطعه
ذلك عن اخذه بنصيبه من الصيب • فهذا مثل مطابق للصيب الذي
نزل به جبريل من عند رب العالمين على قلب رسوله صلى الله عليه وسلم
ليحيي به القلوب والوجود اجمع اقتضت حكمته ان يقارنه من الغيم
والرعد والبرق ما يقارن الصيب المادي حكمة بالغة واسباب منتظمة
نظمها العزيز الحكيم وكان حظ المنافق من ذلك الصيب سحابه
ورعوده وبروقه فقط لم يعلم ما وراءه • وانما انس به المؤمنون
وارتاب بما اطمأنت به العالمون • وشك فيما تيقنه المبصرون والعارفون • فبصير في المثل النار كبصر الخفاش في نحر الظهيرة •
وسمعه في المثل كسمع من يموت من اصوات الرعد وقد ذكر عن
بعض الحيوانات انها تموت من صوت الرعد • واذا صادف هذه
القلوب والاسماع والابصار شبهات شيطانية • وخيالات فاسدة •
وظنون كاذبة • جالت فيها وصالت • وقامت فيها وقعدت • واتسع
فيها مجالاتها • وكثر فيها قيلها وقالها • فملأت الاسماع من هذيانها
والارض من دويانها وما اكثر المستجيبين لهؤلاء والمقاتلين معهم
والقائمين بدعوتهم والمحامين عن حوزتهم • والمقاتلين تحت
لوائهم • والمكثرين لسوادهم عددا • وما اقلهم عند الله وعند اوليائه
قدرا • ولهوم البطنية بلاهم وضر القلوب بكلامهم • هتك استارهم
في كتابه غاية الهتك • وكشف استارهم غاية الكشف • وبين علاماتهم
واعمالهم واقوالهم • ولم يزل عز وجل يقول ومنهم حتى انكشف
امرهم وبانت حقائقهم وظهرت اسرارهم وقد ذكر الله سبحانه

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)